المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة -
قسم التاريخ و الجغرافيا
أ.ة/ رانية مخلوف

مقال بعنوان: النشاط الفدائي في مدينة الجزائر 1954-1956

مقدمة:

شهد العالم في القرن العشرين انتفاضات وثورات شعبية في العديد من البلدان، وكان من أثار هذه الثورات أن غيرت مجرى التاريخ في الدول التي حدثت فيها، غير أن هذه الثورات اختلفت من حيث طبيعتها ووسائلها ، وكذا الإستراتيجية التي اتبعتها كل ثورة ،ومع ظهور حركات التحرر في العالم بعد ذلك ، أصبحت حرب الشوارع إحدى الإستراتيجيات التي اتبعتها المقاومات الشعبية في كفاحها المسلح، خاصة وأن الحركات التحريرية كانت أضعف من القوات الاستعمارية من حيث الإمكانات العسكرية، الأمر الذي جعلها تستغل كل الوسائل في كفاحها وتنتهج إستراتيجية المواجهة الشاملة دون إهمال أي جانب من جوانب المقاومة ، والحال أن حرب المدن أضحت بعد ذلك وسيلة هامة في كفاح الشعوب ومقاوماتها للأنظمة الاستعمارية، إذ كانت المعركة التي تجتمع فيها كل مظاهر المقاومة، كالجانب العسكري والسياسي وكذا الاجتماعي، ورغم هذا التشابه في المظاهر وبعض الوسائل، إلا أن إستراتيجية حرب المدن التي اتبعتها الثورات الشعبية اختلفت من ثورة إلى أخرى، من حيث الأسلوب والتنظيم والأهداف ، فحرب المدن بأمريكا اللاتينية مثلا كانت عبارة عن هجومات وانتفاضات مسلحة ضد مراكز عسكرية واقتصادية، كما كانت في أغلبها يتم التحضير لها خرج المدن ليتم تنفيذها بعد ذلك، ثم تعود الجماعة الثورية إلى مواقعها، ولم تكن هذه المقاومات تملك تنظيما ثوريا موحدا كالذي عرفته مدينة الجزائر أثناء الثورة الجزائرية.

- **التحضير للثورة التحريرية بمدينة الجزائر:**

لعبت مدينة الجزائر دورا كبيرا في التحضير لثورة أول نوفمبر 1954، فقد كانت الأرضية التي تخمرت فيها فكرة الكفاح المسلح وذلك انطلاقا من تأسيس الأحزاب والحركات السياسية التي كانت تركز نشاطها بالمدينة، كما عرفت كل التطورات التي مرت بها الحركة الوطنية، خاصة الفترة التي سبقت بقليل اندلاع الثورة، ففي العاصمة انعقد اجتماع سنة 1947 ويعتبر هذا الاجتماع جنين الكفاح المسلح بحيث نتج عنه تكوين المنظمة الخاصة، كما شهدت المدينة التطورات التي عرفتها الحركة الوطنية ولا سيما أزمة سنة 1953 والتي أفضت إلى تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954 وكل الاجتماعات التي كانت تجمع أعضاء هذه اللجنة والتي أدت إلى تفجير الثورة كانت تعقد بمدينة الجزائر[(1)].

كل ذلك يبين لنا دور مدينة الجزائر في تحضير للثورة، إضافة إلى دورها السياسي فقد كان لها دورا كبيرا في التحضيرات العسكرية بحيث كانت التدريبات تتم بالمناطق المجاورة لها ل ، حيث كان على رأس تلك التحضيرات كل من مصطفى بن بولعيد، وديدوش مراد والعربي بن مهيدي، وكذا رابح بيطاط، هذا فيما يخص التحضير العام الذي كان يتم بالمنطقة، أما الاستعدادات التي كانت تخص تحضير مدينة الجزائر للثورة فقد كانت في الوقت نفسه، وحسب محمد

مرزوقي فإن الاتصالات الأولى لم تكن إلا بالمناضلين الموثوق فيهم، والذين كان لهم استعداد للعمل المسلح وذلك نظرا لاشتداد الأزمة داخل صفوف الحركة الوطنية بين مؤيد لانطلاق العمل المسلح ومعارض له ، وحسب محمد مرزوقي دائما فإن تحضير للثورة بمنطقة الجزائر كان يتم على شكل أفواج فدائية ، بحيث تم تقسيم المناضلين إلى عدة أفواج، [2].

وقد قسم هؤلاء المناضلين إلى حوالي خمسة أفواج فدائية كان البعض منها يقوم بالتدريبات بمزرعة الخرايسية غرب مدينة الجزائر أما البعض الآخر فقد كان يقوم بالتدريبات والتحضير العسكري في شكل أفواج كانت تتظاهر بأنها في نزهة في غابات بينام وتابلاط، وفي إطار هذه الاستعدادات وحسب محمد مرزوقي دائما فقد تم تدريب على صنع القنابل وكيفية استعمالها وكان ذلك في صيف 1954 لا سيما أن مشكل التسليح كان مطروحا بحدة بحيث تم صنع قابل محلية استعملت أثناء العمليات الفدائية التي حدثت في العاصمة ليلة أول نوفمبر 1954، وبعد عقد اجتماع 22 جوان 1954 بدأ المكلف بالتحضير للثورة بالعاصمة السيد الزبير بوعجاج مباشرة بتكوين وتنظيم الأفواج الفدائية الأولى المكلفة بالعمليات الفدائية ليلة اول نوفمبر 1954 وفي نفس الوقت أمر المسئولين الآخرين بتنظيم العناصر الموثوق فيها، وفي يوم 16 أكتوبر 1954 التقى الزبير بوعجاج برابح بيطاط لدى سويداني بوجمعة بمزرعة بمنطقة الصومعة و طلب بيطاط منه الإسراع في العمل وأمره بنقل الأسلحة والقنابل إلى مدينة الجزائر[3].

ومع اقتراب الموعد كثفت الاتصالات بين المسئولين والأفواج الفدائية بالمدينة وعلى رأسهم الزبير بوعجاج باعتباره المسؤول الأول على مدينة الجزائر، فقد اتصل هذا الأخير في 20 أكتوبر 1954 بديدوش مراد ودار بينهما حديث حول الاستعدادات وكيفية التحضير لها، وقد طلب ديدوش مراد من بوعجاج بضرورة توزيع البيانات (بيان أول نوفمبر) ليلة أول نوفمبر على الشخصيات الجزائرية وعلى دور الجرائد لإعلامهم عن بداية الثورة، وفي هذا الإطار كان ديدوش مراد قد طلب من بوعجاج الاتصال بأوعمران الذي كان يملك آلة سحب بمنطقة القبائل على أن يتم سحب نسخا من البيان ، ونظرا لانعدام من يحسن الضرب على الآلة الراقنة فقد دل ديدوش بوعجاج وطلب منه الاتصال بأحد مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، الذي كان يعمل بإحدى الصحف الفرنسية، وهو المدعو محمد العيشاوي حيت قام هذا الأخير بتحرير بيان أول نوفمبر[4].

وقبل اندلاع الثورة وبالضبط في 24 أكتوبر 1954 تم عقد آخر اجتماع بالمرادية بمنزل قاسمية عبد القادر وبعد نقاش طويل دار بين بيطاط وبوعجاج وعثمان بلوزداد تم تحديد النقاط المستهدفة، كما تم وضع التنظيم النهائي للأفواج التي بلغ عددها خمسة أفواج تتكون من 27 مناضلا وكل فوج يتكون من ثلاثة فدائيين يرأسهم فوج، لكن النقاش أخذ نصيبه حول بعض النقاط المستهدفة ليلة أول نوفمبر كمركز الكهرباء والغاز بالقصبة كونها كانت تشكل مخاطر على السكان[5].

- **مدينة الجزائر ليلة أول نوفمبر:**

لم تتخلف مدينة الجزائر عن الموعد بل كانت في مقدمة المعركة التي خاضها الشعب الجزائري من اجل استرداد حريته ، ذلك أنها كانت منطقة حساسة وإستراتيجية في نفس الوقت، لذلك فقد ركز قادة الثورة الأوائل على ضرورة القيام بعمليات فدائية بها ليلة أول نوفمبر 1954 ، ففي هذه الليلة لم تكن السلطات الفرنسية تدري ولا حتى سكان المدينة أن تلك الليلة لا تكون كبقية الليالي الأخرى ، والحقيقة أن مدينة الجزائر باتت هادئة إلى غاية منتصف الليل، لكن بعد ذلك بـ 50دقيقية بدأت عناصر الأفواج تتقدم نحو الأهداف المحددة لها، ففي هذا الوقت بدأ فوج قاسمي عبد الرحمان يزحف نحو مصنع الغاز الجزائري، لقد كانت هذه العملية أخطر العمليات، وهي التي كان البعض قد عارض تنفيذها، ومع ذلك فإن الكل كان مستعدا لذلك ، حيث قسمت الأدوار فكلف قاسمي المختار بقطع وتد الباب في حين

كان البعض الآخر مكلفا بالحراسة ليتوغل الآخرون داخل المصنع لوضع القنابل الأربعة، وبعد الانتهاء من المهمة لاذ الجميع بالفرار[6].

أما العملية الثانية التي كانت تستهدف مقر الإذاعة فلم تكن أقل خطورة من الأولى هي الأخرى ونظرا لموقعها في قلب المدينة حيث تبقى الحركة إلى أخر ساعة من الليل، ومع ذلك فإن الكل كان في الموعد، حيث كان محمد مرزوقي يحمل معه قنبلتين وحارقة ودلوا من بنزين، وإلى جانب هذا الفوج الذي كان يقوده مرزوقي كان هناك فوج آخر يقوده عباسي مدني وكان مكلفا بحماية الفوج الأول لذلك كان أغلبهم يحمل الأسلحة معه، أما العملية الثالثة التي كانت موجهة لتفجير مركز بترول موري بشارع دين (Digne) إلى الأعلى من الميناء فإن العمل فيها كان يستهدف خزان بترول وكذا مركز الكهرباء بالميناء، وقد كانت بحوزة هذا الفوج ثلاث قنابل ومسدس وتمت العملية في الوقت المحدد بنجاح[7] ، وفيما يخص العملية الرابعة التي كانت تستهدف ضرب مركز الهاتف بشامانوفر- اول ماي حاليا -و التي كان يقودها أحمد العسكري فقد تمت بنجاح رغم صعوبة الموقع وشدة حراسته، يبقى في الأخير أن نشير إلى أن العملية الخامسة لم تنفد وهي العملية التي كانت موجهة لتفجير مصنع الفلين بحسين داي[8].

وفي إطار عمليات أول نوفمبر فقد قام الفدائيون بتوزيع مناشير بيان أول نوفمبر على جميع المسولين الفرنسيين وبعض النواب المعنيين بفرنسا[9]،وفي صباح ذلك اليوم التقى مسؤولو العناصر الفدائية بسينما (سبلونديد) ولم يتخلف عن الموعد سوى نابتي الصادق وأحمد العسكري، وفي هذا اللقاء تبادلوا أطراف الحديث حول العمليات ومدى نجاحها، فرغم أن العمليات الأولى لم تكن ناجحة كلية إلا أن أحد المسؤولين قرر القيام بعمليات أخرى أكثر خطورة[10] لكن تسارع الأحداث حالت دون ذلك ، فقد قامت السلطات الفرنسية بعد العمليات الأولى مباشرة بحملة اعتقالات واسعة في صفوف مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وزجت بهم في السجون، وتواصلت حملات الاعتقال حتى ألقي القبض على أغلب العناصر الفدائية وبعد ذلك عاشت المدينة فترة فتور وهدوء واستحكمت السلطات الفرنسية قواتها على كامل المدينة.

- **إعادة تنشيط العمل الفدائي:**

رغم أن العمليات الفدائية الأولى لم تكن ناجحة إلا أن الأهداف المسطرة تم تحقيقها ، وهي إشعار الاستعمار الفرنسي أن الثورة كانت شاملة ومن ورائها تنظيم قوي، كما كانت تهدف هذه العمليات إلى ضرب كبرياء المعمرين المتطرفين وجعلهم أمام الأمر الواقع، يعيشون مستجدات الأحداث، وفضلا عن ذلك فقد كانت العمليات الأولى تهدف إلى تحريك الشعب الجزائري وإخراجه من جموده. وكل هده الأهداف كانت ذات طابع سياسي.

ورغم الهدوء الذي عاشته مدينة الجزائر بعد العمليات الأولى إلا أنه بعد ذلك بدأت بعض العناصر الفدائية تتحرك في الخفاء وتتصل بالمناضلين قصد تنشيط العمل الفدائي من جديد ومواصلة الكفاح المسلح إلى جانب المناطق الجبلية والأرياف، وفي هذه الفترة كان على جبهة التحرير أن تواجه أيضا الحركات التي كانت تعارض الثورة كالحركة الوطنية الجزائرية[11] . وكذا عناصر الحزب الشيوعي والخونة والعملاء، وكل هذه الأمور كانت تمثل عقبات في طريق الثورة بالمدينة لابد من تخطيها، وإضافة إلى كل ذلك فقد كان على جبهة التحرير أن تقوم بعمل شاق في مجال التوعية الثورية وتوسيع دائرة الثورة وهذا كان يعني كسب الجماهير وضمها إلى الثورة.

وفي هذا الوسط المصحوب بالمخاطر والحذر بدأ بعض المناضلين الناجون من قبضة السلطات الفرنسية يتحركون من جديد ،لكن سيطرة قوات الأمن الفرنسية على المدينة صعب الأمر كثيرا من مهمة المناضلين خاصة بعد إلقاء القبض

على قائد المنطقة الرابعة رابح بيطاط في 22 مارس 1955 فأضطر بعد ذلك مسؤولو المنطقة إلى إرسال ياسف سعدي إلى الخارج للاتصال بالوفد الخارجي لشرح الوضعية الصعبة التي تمر بها المنطقة وبهدف تنسيق العمل، وبالفعل فقد انتقل ياسف سعدي إلى سويسرا ولكن أثناء عودته ألقي عليه القبض من قبل السلطات الفرنسية(12) ، في هذه الأثناء ومنذ اليوم الثاني تحرك مصطفى فتال والمختار بوشافة لتكوين أفواج فدائية وتنظيمها،مع بعض المناضلين الآخرين مثل الطيب تكونت بعض الأفواج الفدائية التي بدأت تنشط بالمدينة.

نعود إلى قصة ياسف سعدي مع السلطات الفرنسية، فبعد إلقاء القبض عليه حاولت هذه الأخيرة كسبه وجعله أداة طيعة في يدها يمكن من خلاله تفكيك التنظيم الثوري الذي كان لا يزال في طور التكوين ، لذلك أطلقت سراحه، لكن سعدي بمجرد خروجه من السجن اتصل ببعض المسؤولين وأوضح لهم الأمر، ورغم ذلك فقد وجد سعدي صعوبة في إقناعهم، وأصبحت قضيته إحدى المشاكل التي اعترضت النشاط الثوري بالمدينة ، (13).إضافة إلى ذاك الجو المشحون بالحذر والريب قضية فقد اعترضت النشاط الثوري بالمدينة في هذه الفترة قضية أخرى ،بحيث كان البعض يرى أن الوقت مناسب للشروع في العمل المسلح في حين كان البعض الآخر يرى عكس ذلك، وقد تم تجاوز الأمرين معا، فبالنسبة لقضية سعدي وبوشافة فقد كان أمامهما القيام بشيء للبرهنة على إخلاصهما ووطنيتهما، لذلك قرر سعدي ضرورة القضاء على ضابط الشرطة الفرنسية، وهو المدعو أربان، وتمكن بوشافة من القضاء على احد مساعدي أربان لكون هذا الأخير كان جد محروسا(14).

ورغم ذلك فإن الشكوك كانت لاتزال قائمة، لذلك طلب أو عمران من بوشافة مرة أخرى، القضاء على الرئيس الجديد للمجلس الجزائري وهو عبد القادر سايح وأخبره أن نجاحه في هذه العملية يمكنه من الحصول على مبلغ مالي لكن هذا أغضب بوشافة فصاح في وجه أوعمران قائلا:" لست مرتزقا، لست شريرا، يمكنك أن تقدم ذلك إلى أحد آخر... إني أفعل ذلك من أجل الوطن، لست في حاجة إلى اختبارك لوطنيتي، يمكنك اختيار الأشخاص الذين تقودهم"(وبذلك فقد اقتنع أوعمران بإخلاصه وأصبح بوشافة ذا أهمية بالنسبة للنشاط الثوري بمدينة الجزائر ، أما العقبة الثانية فقد كانت لا تزال مطروحة، بحيث اصطدم بوشافة الذي كان متحمسا للعمل المسلح بعبان رمضان مرة أخرى وكانت هذه المرة حول قضية الشروع في العمليات الفدائية فقد اتهم بوشافة عبان وعمارة رشيد بالتخاذل واعتبر المثقفين هم عقبة في طريق العمل المسلح في حين كان عبان يرى أن الوقت لم يحن بعد لبداية اعمل المسلح بالمدينة ، وأن الظروف تفرض عليهم التركيز على العمل السياسي لبسط نفوذ جبهة التحرير15).

ويبدو أن موقف عبان رمضان كانت وراءه عوامل عدة، فقد سبق له وأن عين مسؤولا على المدينة في بداية شهر أفريل 1955، وهو الطالب خنشول علي الذي قدم من فرنسا، ولكن هذا الأخير ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض عليه القبض في الأيام الأولى فقام عبان بتعيين فدائي آخر لكن هذا الأخير وقع هو الآخر في قبضة السلطات الفرنسية مباشرة بعد تعيينه، لذلك أعرض عبان عن إعادة تعيين مسؤول آخر بعد أن تم إيقاف الاثنين في أقل من شهر وقرر إبقاء المدينة في حالة هدوء، على أن تعد الفرق الفدائية نفسها للعمل المسلح مستقبلا(16).

وإلى جانب هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها المدينة في هذه الفترة، فقد كانت الثورة بالمناطق الجبلية في حاجة إلى إمدادات من الرجال والسلاح، وعليه فإن إبقاء المدينة في حالة هدوء يسهل عليها القيام بذلك الدور، لكن هذا كان يرفضه بعض المسؤولين من بينهم سعدي ومصطفى فتال وبوشافة المختار، فقد هدد الأولان إن لم تبدأ المدينة

في العمل العسكري فإنها سيلحقان بالثورة في الجبال وتساءلا:" كيف نتحدث عن تحرك الاوراس وقسنطينة والقبائل ونقف نحن مكتوفي الأيدي[17].

ومن اجل تجاوز هذه الظروف الصعبة التي كان يمر بها العمل الثوري بالعاصمة ونظرا للظروف الحرجة التي كانت تمر بها المدينة فقد تمت عدة لقاءات بين المسؤولين وذلك بحثا عن مخرج لكل ذلك ، وكان من بين تلك اللقاءات الاجتماع الذي عقد في 15 أكتوبر 1955والذي جمع أوعمران، كريم بلقاسم، وبعض المسؤولين الآخرين، فقد كان ذلك اللقاء منعطفا حاسما في تطور الأحداث، بحيث زالت الشكوك التي كانت تسود بعض مناضلي التنظيم الثوري بالعاصمة الامر الذي شجع بعض المسؤولين من بينهم ياسف سعدي إلى الدخول مباشرة في العمل المسلح، واختار طريقة جمعت بين العمل السياسي والعسكري في آن واحد، وذلك بغية تحقيق توازن في العمل الثوري ، أي تحريك الأفواج الفدائية للقيام بالنشاط الفدائي المسلح ضد المعارضين للثورة قصد خلق جو من الخوف والرعب وسط المعارضين والمترددين، وفي نفس الوقت نفسه يتواصل العمل السياسي لتعبئة الجماهير وتوسيع دائرة جبهة التحرير الوطني.[18]

- **عمليات التطهير :**

لقد امتاز النشاط الفدائي في هذه المرحلة بكونه كان موجها إلى تصفية عناصر الحركات المعارضة للثورة كعناصر الحركة المصالية وعناصر الحزب الشيوعي الجزائري ، إضافة إلى ذلك فقد كان يستهدف الخونة والعملاء وكذا أعوان الاستعمار، وذلك بغية تصفية الأجواء وتهيئة الأرضية، وكان الهدف من ذلك تحذير الشعب الجزائري من التعامل مع السلطات الفرنسية، وترهيب كل من تسول له نفسه الوقوف في طريق الثورة(، ويجب أن نذكر هنا أن السلطات الفرنسية كانت مسيطرة على الوضع، وفي نفس الوقت كانت تقوم بحرب سياسية دعائية تصف من خلالها الثورة أنها عمل عصابة أشرار مرة وتتحدث عن قضائها عليهم مرة أخرى، وهذا بهدف زرع الشكوك وجلب المترددين والمعارضين إلى جانبها[19] ، لذلك فإن جبهة التحرير وجدت نفسها تخوض معركة على عدة أصعدة بحيث كانت تواجه قوات الاستعمار وفي نفس الوقت كانت تعمل على تصفية ذيوله.

- **تصفية عناصر الحركة الوطنية الجزائرية**

تعتبر الحركة الوطنية الجزائرية من أهم الحركات المعارضة للثورة التحريرية ، فقد عانت منها كثيرا وكانت المعانات الكبرى في المناطق الريفية لا سيما في المنطقتين الثالثة ببلاد القبائل والمنطقة الرابعة[20]، ونظرا لموقع مدينة الجزائر المجاور للمنطقتين المذكورتين فقد عانت هي الأخرى كثيرا من نشاط عناصر الحركة المصالية، بحيث كانت هذه الأخيرة تسيطر على عدد كبير من المناضلين، ونظرا للغموض الذي كان يسود الثورة في الفترة الأولى بحيث لم يكن المفجرون للثورة معروفين لدى الشعب الجزائري عامة ولدى المناضلين على وجه الخصوص، لذلك راحت عناصر الحركة الوطنية الجزائرية تدعي أنها مفجر للثورة متحججة في ذلك أن السلطات الفرنسية قد ألقت القبض على حولي 2000 مناضلا من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كما كانت تظهر مصالي الحج بصفته مؤسسا وقائدا لجبهة التحرير الوطني[21]، وهذا الذي جعل المسؤولين يعملون من اجل القضاء على تلك العناصر بصفة نهائية.

وفي إطار عمل الحركة الوطنية الجزائرية المضاد للثورة بمدينة الجزائر قامت عناصرها بعدة عمليات مشبوهة، وكان من بين ذلك (القضية الميزانية)، ففي سنة 1955 بدأت عناصر الحركة الوطنية الجزائرية تهاجم أفراد هذه الجماعة، وتقوم بعمليات اعتداء عليها، وكذا تدمير محلاتهم التجارية، ولمواجهة ذلك المشكل تحركت عناصر جبهة التحرير الوطني فأصدر

عبان رمضان بيانا يدين فيه الاعتداء على الميزابيين ويؤكد تضامن الجبهة معهم، وبهذا الموقف تمكنت الجبهة من كسب هذه الجماعة إلى الثورة[22] ، إضافة إلى ذلك فقد نشطت عناصر هذه الحركة بالمدينة وقامت بعدة عمليات تخريبية وحرائق، وقد اعترف بذلك أحد قادة خلايا هذه الحركة وهو المدعو: محند فرحات بعد إلقاء القبض عليه من قبل السلطات الفرنسية[23]، كما قام عناصرها بقتل أحد الجزائريين من رجال المباحث الفرنسية لتوهم الشعب الجزائري تبنيها للثورة وقد توسع نشاطها أكثر من ذلك بحيث قامت بإنشاء اتحاد عمالي نسبوه إلى العمال وأطلقوا عليه اسم (اتحاد النقابة للعمال)[24] ودخلت بذلك في صراع مع التنظيم العمالي التابع للجبهة.

وفي هذا المجال كتبت جريدة (صدى الجزائر) تحت عنوان: حرب النقابات في مدينة الجزائر، (إن صراعا حادا بين النقابة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية والنقابة الجديدة التابعة للجبهة[25]، وبهذا التحرك الكثيف الذي كانت تقوم به هذه الحركة بمدينة الجزائر وأمام إصرارها على موقفها فقد قرر المسؤولون عن التنظيم الثوري بالعاصمة تطاردهم وذلك بعد فشل كل المحاولات لكسبهم للثورة ، وفي هذا الإطار ركز الفدائيون عملهم ضد أبرز عناصر هذه الحركة وعلى رأسهم رحوني الذراع الأمن لابن لونيس بحيث تم القضاء عليه من طرف المختار بوشافة[26]، واستمرت العمليات الفدائية ضد عناصر الحركة الوطنية الجزائرية، ومع مرور الأيام وتطور الأحداث تم إنهاء عناصر هذه الحركة بالمدينة، بحيث انضم البعض بصفة فردية إلى الثورة، ولم يعد يذكر لها نشاط بالمدينة.

- **تصفية عناصر الحزب الشيوعي:**

لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري يدرك منذ البداية أن أحداث ليلة أول نوفمبر هي بداية الثورة التحريرية ، لكنه لم يعترف بها لعد أسباب منها: أن أغلب عناصره كانوا أوروبيين وهؤلاء كانوا يرفضون أي عمل يدعو إلى الانفصال عن فرنسا ، كما أن كان الشيوعيون يرون أن الثورة الجزائرية لم تكن كذلك، بل هي ثورة فلاحين ومثقفين محرومين تدفعهم الروح الوطنية وتغذيهم المبادئ الإسلامية(، إضافة إلى ذلك فقد كانت قيادة الحزب الشيوعي تعتقد أنها تمثل شريحة هامة من الشعب الجزائري وانضمامها إلى جبهة التحرير معناه الاعتراف بالحركة التي انبثق من نداء أول نوفمبر، الأمر الذي يؤدي إلى تلاشي الحزب الشيوعي ، وكل ذلك جعل موقف الحزب الشيوعي صريحا منذ اليوم الثاني من اندلاع الثورة، حيث أصدر بيانا أدان فيه جبهة التحرير الوطني وتحدث عن فشل الثورة ورأى أن أفضل حل هو الحل الديمقراطي، وفي هذا المجال اصدر في 13 جانفي 1955 بيانا آخر دعا فيه إلى الإصلاحات وتكوين جمهورية في إطار الدولة الفرنسية، ورغم التهديدات التي أصدرتها جبهة التحرير ضد كل من يشارك في الانتخابات التي نظمت في 1 مارس 1955 إلى أنه شارك فيها.[27] .

لقد واصل الحزب الشيوعي الجزائري معارضته للثورة الجزائرية، بحيث قامت عناصره بمدينة الجزائر بعد أعمال عسكرية مغرضة بهدف فرض وجودها وإعطاء الشرعية للتمثيل السياسي مستقبلا ، حيث قام هذا الحزب بتكوين أفواج فدائية كانت تنشط بالمدينة، وقامت بعدة عمليات فدائية موازية لعمليات جبهة التحرير الوطني مثل إلقائهم قنبلة يدوية على إحدى مراكز الشرطة بالمرادية وبعد ذلك مباشرة تحركت جبهة التحرير الوطني وقامت بتحقيق حول الحادث ، أفضى على إثره توقيف عكاش الأمين العام للحزب الشيوعي، الذي اعترف بوجود عناصر مسلحة بمدينة الجزائر الأمر الذي جعل المسؤولين على التنظيم الثوري يقومون بإعدامه وتفكيك عناصر ذلك التنظيم الذي كان يتكون من أربعة أفواج كل فوج كان يتكون من عشرة أعضاء ينشطون في : الأبيار، باب الوادي، وحي لارودات[28] ، ومع تطور الأحداث قامت جبهة التحرير الوطني بالاتصال بمسؤولي هذا الحزب والتعرف على تنظيمه. وقد كانت عدة لقاءات بين

مسؤولي الجبهة ومسؤولي الحزب الشيوعي بغية انضمام هذا الأخير إلى الثورة. كما قامت الجبهة في نفس الوقت بتجنيد بعض مناضليها داخل صفوف العناصر الشيوعية قصد إفشال مخططاته، وبذلك العمل المزدوج تمكنت جبهة التحرير الوطني من إنهاء عناصر الحزب الشيوعي[29].

- **تصفية العملاء ورجال الشرطة:**

لقد ركزت السلطات الفرنسية كثيرا على ضعاف النفوس والمشككين في الثورة، وحاولت من خلالهم بث سمومها في الأوساط الشعبية قصد السيطرة على المدينة، بحيث كانت جبهة العملاء وأذناب الاستعمار الفرنسي تشكل قوة سند كبيرة إلى جانب القوات الفرنسية، حيث كانت تملك عناصر خطيرة عملت على زرع الرعب والريب وسط السكان عامة ووسط مسؤولي التنظيم الثوري بالمدينة على وجه الخصوص[30]، ولذلك فقد اتبعت الجبهة مع هذا الطرف طريقة الحسم.

وقد كانت أول عملية فدائية ضد رفاعي عبد القادر المدعو: (بيدابوت) أحد أكبر العملاء مع الشرطة الفرنسية، وقد كلف على عمار (علي لابوانت) رفقة احد الفدائيين المدعو (رابح) باغتياله لكن هذه العملية فشلت نظرا لصعوبة القيام بها بحيث كان رفاعي محاطا بالكثير من رفقائه في الوقت الذي كان يراد فيه قتله[31]، وقد استمرت الجبهة في متابعته، لكن هذه المرة خيرته بين أمرين: إما التوقف عن موافقه أ, القضاء عليه، وأمام عناد رفاعي فقد تم القضاء عليه مع عدد اخر من العملاء من طرف علي لابوانت وعمر باجي[32].

ومن بين العناصر الخطيرة العميلة التي كانت تشكل خطرا على التنظيم الثوري بالعاصمة أيضا، والتي قررت الجبهة التخلص منها هو المدعو: عيشاري بحيث كان يشكل خطرا كبيرا وأصبح المسؤولون عن التنظيم يخشون اعماله نظرا لنشاطه الخطير بحيث أصبح هو الآخر يسيطر على مجموعة كبيرة من الجزائريين، لذلك قررت الجبهة القضاء عليه، فكلفت علي عمار رفقة عمار حمادي وصالح بوحارة بتنفيذ ذلك وبهذه الضربات التي كانت موجهة إلى هذه العناصر جعلت عيشاري يوقف كل علاقاته مع الشرطة الفرنسية وينهي خدمته لها.[33]

لقد تواصلت العمليات الفدائية بعد ذلك ضد العملاء والخونة بحيث تم القضاء على عدد كبير منهم ، بحيث تمكنت عناصر الجبهة من القضاء على عنصر خطير جدا وهو المدعو: زينات الذي كان يعمل تحت تصرفه العديد من الرجال والنساء، وقد كلف بهذه العملية فدائي كان لا يتجاوز العشرين سنة من عمره وهي أول عملية بالنسبة له، وتم تنفيذها بنجاح[34] ، وحتى تفرض الجبهة سيطرتها على بعض الأحياء العربية فقد وجهت عملياتها الفدائية أيضا إلى أشرار المدينة واللصوص الذين كانوا ينشرون الرعب وسط السكان، ونظرا لصرامتها فقد تمكنت من تصفية هذه الفئة وأيضا من بعض الفئات التي كانت تنشر الفساد والرذيلة بالمدينة[35].

إلى جانب هذا النشاط فقد ركزت الجبهة عملها في هذه المرحلة على ضرب رجال الشرطة وقوات الأمن بحيث كانت تركز عملياتها على العناصر الأكثر خطورة ونظرا لصرامة النشاط الفدائي في هذه المرحلة فقد تمكنت الجبهة من فرض سيطرتها على أجزاء هامة من بعض الأحياء العربية بالمدينة، ويكفي أن نذكر أن عدد العمليات التي تم القيام بها ما بين سنتي 1954- 1956 قد بلغت حوالي 400 عملية[36].

- **النشاط السياسي والتوعية الثورية:**

إضافة إلى الأمرين السابقين الذين ميزا النشاط الثوري بمدينة الجزائر في هذه المرحلة والمتمثلين في قضية استجماع القوى وتوحيد الصفوف وكذا تنشيط العمل الفدائي ضد عناصر الحركات المعارضة وذيول الاستعمار الفرنسي فإن هذه المرحلة قد شهدت نشاطا سياسيا كبيرا تمثل في الاتصال بالجماهير والتوعية الثورية ، فقد استغل المسؤولون عن النشاط الثوري بمدينة الجزائر فرصة تحرك السلطات الفرنسية وشنها لحملات الاعتقال الجماعية ضد الجزائريين لا سيما المناضلين في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وبدأوا يتحركون هم أيضا وينشطون من أجل توسيع دائرة جبهة التحرير ونشر الوعي السياسي وقد كان لإطلاق سراح عبان رمضان في شهر فيفري 1955 دورا كبيرا في تنشيط العمل السياسي والثوري بمدينة الجزائر، فقد كان لتكوينه السياسي والإيديولوجي ومستواه الثقافي، دورا كبيرا واستطاع أن يحتل أمام مجنده العقيد أوعمران وحتى أمام قائد المنطقة الثالثة كريم بلقاسم الذي كان يأتي إلى العاصمة ليأخذ رأيه حول القضايا السياسية[37].

ومن اجل بسط نفوذ جبهة التحرير الوطني على مدينة الجزائر قام عبان رمضان بإصدار بيان مطول يوم 1 أفريل سنة 1955 وجهه إلى الشعب الجزائري كشف من خلاله عن زيف الدعاية الاستعمارية ودعا الشعب أن يمد يد المساعدة إلى جيش التحرير الوطني وحثه على الكفاح إلى غاية النصر، كما حذر المشككين في الثورة وهددهم بالعقاب الصارم الذي سيسلطه عليهم جيش التحرير دون رحمة ولا شفقة، إضافة إلى ذلك فإن عبان رمضان قام بدور بارز فيما يخص الاتصالات بالشخصيات الجزائرية خاصة قادة التشكيلات السياسية، وقد كانت لتلك المجهودات التي بذلها عبان رمضان أن أثمرت نتائج كبيرة في مجال التوعية السياسية وتوسيع دائرة الجبهة، بحيث انضم اغلب عناصر اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني من بينهم السيد: بن يوسف بن خدة الذي كان له دور بارز في النشاط الثوري الذي عرفته مدينة الجزائر بعد ذلك ، وعكس التنظيم العسكري الذي وجد صعوبة في القيام بمهامه في هذه المرحلة فإن التنظيم السياسي قد عرف تطورا كبيرا ، بحيث أنشأ عدة خلايا كانت تقوم بالنوعية الثورية، وتعمل على تنظيم الجماهير، وفي نفس الوقت تضاعفت الاتصالات مع قادة الحركات السياسية المتمركزة بمدينة الجزائر[38].

ومن بين المهام التي تحققت في هذه المرحلة التي تمتد إلى غاية صيف سنة 1956 نذكر دور المدينة في مجال التنسيق والاتصال بين العاصمة والمناطق الأخرى وكذا الوفد الخارجي، وفي المجال الإعلامي فقد تم إصدار جريدة (المجاهد) كما تم تنظيم الشعب في شكل لجان ثورية بحيث أصبح الشعب كله في مواجهة قوات الاستعمار الفرنسي [39]، وذلك قصد تحقيق هدف المقاطعة النهائية مع السلطات الفرنسية وإحداث انقلاب شامل لكل مظاهر الحياة ،فقد بدأت مظاهر النوعية السياسية تظهر في الحياة اليومية لسكان العاصمة بحيث أصبحت الثورة حديثا تتداوله الألسنة باستمرار، فالمقاهي العربية التي كانت مراكز للهو والمجون أصبحت بعد اندلاع الثورة ونتيجة للدور الذي لعبه المناضلون إحدى المراكز الهامة للحديث عن الثورة والوطنية وتحولت إلى أماكن الالتقاء والمواعيد التي تهم النشاط الثوري بالمدينة[40].

فرغم التركيب الاجتماعي والسياسي لسكان المدينة والذي كان إحدى العقبات التي واجهت النشاط السياسي في المدينة إلا أن المكلفين بالنوعية وتنظيم الجماهير عرفوا كيف يتغلبوا على ذلك وهنا يجب أن نذكر دور بعض المناضلين الذين كان لهم دورا كبيرا في هذا المجال فالإضافة إلى عبان رمضان لعب ديدوش دورا كبيرا في النوعية الثورية في القضية وتحسيس سكانها بها، وبذلك فقد تمكن مع رفاقه من تحقيق نتائج هامة في ذلك المجال، فقد تزايد عدد المنظمين إلى الثورة من كل الشرائح الاجتماعية والاتجاهات السياسية ومن بلين نتائج ذلك النشاط نذكر انضمام أحمد غرمول وهو أول نقابي

ينظم إلى الثورة ويعود له الفضل في القيام بنشاط ودعاية واسعين للجبهة في الوسط النقابي. كما كان لانضمام أحمد شايب أهمية كبرى في تهيئة حي القصبة نظرا لسمعته ومكانته بين أبناء الحي[41].

ودائما في إطار النشاط السياسي تواصلت الاتصالات بشكل مكثف بالشخصيات التي كان لها تأثير على الوسط السكاني، وقد أثمرت هذه الاتصالات بالالتحاق العديد من الشخصيات بالثورة نذكر من بينهم عمر وزقان الذي كان كاتبا عاما للحزب الشيوعي الجزائري وكذا محمد لبجاوي وهو من نفس الحركة، إضافة إلى ذاك نجد انضمام أحسن العسكري من اللجنة المركزية وأحمد الأغواطي وعمار القامة وهذا الأخير كان من الحركة الوطنية الجزائرية، وقد كان لانضمامه تأثيرا كبيرا علة هذه الأخيرة، بحيث كسب الكثير من مناضليها إلى الثورة كالسيد: فرحلتي الذي كان يمثل الفرع العسكري للحركة، ومن جهة أخرى كان لانضمام ياسف لسعدي رفقة علي عمار (علي لبوانت) دورا كبيرا في تحضير القصبة للعمل الثوري بالعاصمة فقد استغل سعدي معرفته الجيدة للحي، وبدأ في العمل وذلك بإيجاد مخابئ وملاجئ سرية ومراكز الصناديق البريدية ، وقد ساعدته كثيرا مخبزة أبيه في عملية الاتصال بأبناء الحي والعمل على ضمهم إلى الثورة خاصة وأن هذه الشريحة كان لها استعداد ا كبير لاحتضان الثورة رغم أنها كانت في أعين الناس مجموعة صعاليك ولصوص[242] ، وبفضل تلك المجهودات كان النشاط الثوري بمدينة الجزائر قد قطع مرحلة هامة من مساره فقد تمكنت جبهة التحرير من بسط نفوذها ووسعت دائرتها في حين راحت الحركات السياسية الأخرى نحو الضعف وذلك نتيجة لصرامة التنظيم الذي اتبعته جبهة التحرير بحيث اتبعت عملا مزدوجا من اجل السيطرة على المدينة فقد قامت بتنشيط العمل العسكري وللقضاء على العناصر المعارضة للثورة وفي نفس الوقت كانت تقوم بنشاط سياسي كبير قصد التوعية السياسية وتحضير المدينة لمرحلة قادمة. وبالفعل فقد كانت هذه الطريقة فعالة جدا تمكنت الجبهة من خلالها من السيطرة على الوضع وبقت في مواجهة واحدة فقط ألا وهي العمل ضد القوات الفرنسية والتي ستجد نفسها أمام نشاط فدائي فعال بعد مؤتمر الصومام نتيجة التطور الكبير الذي عرفه في تلك المرحلة.

خاتمة:

لقد كان لإستراتيجية المواجهة الشاملة التي اتبعتها الثورة التحريرية في مواجهتها لقوات الاستعمار الفرنسي عاملا مهما في تحقيق العمل المسلح، بحيث كان طابع الشمولية أنجح طريقة ضد استعمار استيطاني، وكان لنشاط الفدائي دور كبير في تحقيق هذه الشمولية ودفع سكان المدن للمشاركة في المعركة إلى جانب إخوانهم في الريف، وفي هذا الإطار كان لمدينة الجزائر دورا كبيرا في مسار الثورة التحريرية ، حيث كانت من بين المناطق التي شهدت أولى العمليات العسكرية ليلة الو نوفمبر 1954 ، وقد كان لنشاط الفدائي بمدينة الجزائر آثارا هامة في مسار الثورة الجزائرية عامة، والنشاط الثوري بمدينة الجزائر على وجه الخصوص، ولعل أهمية النشاط الفدائي كانت مرتبطة بأهمية مدينة الجزائر التي حاولت السلطات الفرنسية إبقاءها بعيدة عن المعركة التحريرية، وبالفعل لقد تمكنت القوات الفرنسية من استحكام سيطرتها على المدينة في بداية الأمر، فإذا استثنينا العمليات الفدائية الأولى التي وقعت في المدينة، فإن هذه الأخيرة قد عاشت نوعا من الهدوء الذي جعلها تشهد هجرات عديدة من قبل المعمرين الذين كانوا يسكنون المناطق المجاورة لها هروبا من لثورة ،واعتقد المعمرون أن فرارهم إلى المدن ولا سيما مدينة الجزائر يمكن أن يجعلهم في مأمن من ضربات الثورة التي كانت تتعقب كل معارض لها، أو متعاون مع الاستعمار، بحيث نقلت نشاطها المسلح إلى المدن، الأمر الذي جعل المعمرين أن لا مفر لهم من ضربات الثورة، وتأكدوا أنها ليست عمل عصبة أشرار كما كانت تصفها السلطات الفرنسية، بل ثورة شعب منظم، وفضلا عن ذلك فإن النشاط الفدائي بمدينة الجزائر جعل الفرنسيين يقفون أمام الواقع كما كانت تمارسه السلطات

الفرنسية ضد الشعب الجزائر، وفي هذا الإطار لعب الفدائيون دور كبيرا في إرباك السلطات الفرنسية وزرع الرعب في مدينة الجزائر من خلال نشاطهم المحكم والمنظم، وبذلك فقد ضيقوا الخناق على السلطات الفرنسية وأصبحوا يشكلون قوة عسكرية ثانية تواجه قواتها، بحيث استطاع التنظيم الثوري فرض استطاعته على المدينة، وأصبح يقوم بإجراءات موازية لإجراءات السلطات الفرنسية، ونظرا لقوة النشاط الفدائي بالمدينة، فإن أوامر الجبهة كانت مطاعة، فأصبحت هذه الأخيرة فارضة رقابتها على بعض الأحياء لا سيما الأحياء العربية منها .

الهوامش

1- الأخضر بوطمين ،" جبهة التحرير الوطني وتعبئة الجماهير": مجلة أول نوفمبر عدد 68 سنة 1948 ، ص102 وما بعدها

- الأخضر بوطمين ، المرجع السابق ،ص 762 -

ج. ت. و. ، بالمشاركة مع م. و للمجاهدين، **الطريق إلى نوفمبر**، مجلد 1، ج3، ص 663

4 -Yves, couriere : **La guerre d`Algérie : T1 les fils de la toussaint** . Librairie Athene fayar . Paris, 1968.p,154

5- Yves, Couriere ,op.cit, pp267-268.
6 - idem., pp, 319,321.

7 - ج، ت، و، بالمشاركة مع المنطقة الوطنية للمجاهدين، **الطريق إلى نوفمبر**، المجلد 1 ج3، ص67

- المرجع نفسه ، ص 768

9 - Yves Courier, op. cit., p 291

10 - idem , p.p 373, 374.

11 - ج، ت، و، بالمشاركة مع ، للمجاهدين، **الملتقى الوطني الثالث لتاريخ الثورة 1956، 1958، تقرير منطقة العاصمة، قصر الأمم، ديسمبر 1985**، ص9.

12 - yves Couriere , **La guerre d`Algérie, T2 le temps des léopards**. Librairie Athene fayar Paris, 1969, pp144,150.

13- yves Couriere , **, T2 le temps des léopards** ,p146

14 - idem**,** p150.

15 - yves Couriere **, T2 le temps des léopards** , p p151, 152.

16- Idem, p 148.

17 - Yves Couriere , **T2 le temps des léopards**, p150

18 - Yves Couriere , **T2 le temps des léopards** , p 208.

19 - ج، ت، و، بالمشاركة مع م، و، للمجاهدين، **الملتقى الوطني الثالث التاريخ الثورة تقرير منطقة العاصمة (1956– 1958)**، ص9

20 - العربي الزبيري، ، الثورة الجزائرية في عامها الأول. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 ، ص195 وما بعدها

21 - وزارة الإعلام والثقافة، المرجع السابق، ص 19

.22-Mohamed Lebjoui, **Bataille a`Alger ou bataille d`Algérie** .Edition Gallimard imprimerie lochyenne, France, 1972., p28

23 - L`écho d`Alger N° 14/04/1956, p4.

24 - ج، ت، و، **الملتقى الوطني الثالث التاريخ الثورة تقرير منطقة العاصمة (1956– 1958)**،مرجع سابق ، ص24

25- L`Echo d`Alger N° 14/04/1956, p12

26 - Yves Couriere , T2 le temps, op.cit. , p206

27 - العبي الزبيري، المرجع السابق، ص163 وما بعده

28 - Khalfa Mameri , **Abane Ramdhane, héros de la guerre d`Algérie** édition, rahma, Alger, 1992, p.238-239

29 - ج، ت، و، **الملتقى الوطني الثالث التاريخ الثورة تقرير منطقة العاصمة (1956– 1958)**، مرجع سابق ، ص 3

30 - المرجع نفسه ، ص9 -

31 - Yacef Saadi, **la bataille d`Alger** .T1, Edition la phenic Alger, 1986, p152.

32 - Yacef Saadi, Op.cit , p.154.

33 - Yacef Saadi, Op.cit , p214.

34 - M'hamed Lebjaoui. Op. cit., p30.

35 – yacef Saadi, op. cit., pp.155-156.

- ج، ت، و **الملتقى الوطني الثالث التاريخ الثورة تقرير منطقة العاصمة (1956– 1958، مرجع سابق** ، ص36.9

37 – محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.132-133.

- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص.132- 13338

39.-ج، ت، و، **الملتقى الوطني الثالث التاريخ الثورة تقرير منطقة العاصمة (1956– 1958** ، **مرجع سابق** ، ص15

40 – Yacef Saadi, op. cit., p.201.

41 - yacef Saadi, op,cit pp.67-134

42 - idem, p.202